

أعضاء البيان

@ 72 @ دُونِهِ ءَالِهَةٌ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَفْسَهُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا { وهذا غاية العجز . كما ضرب لذلك المثل بقوله : { إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي السَّمَاوَاتِ فِي كُلِّ نَفْسٍ ذَاتِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ } . فلو كان الله تعالى لا يملك أن يخلق شيئاً ولا أن يدمره ، ولا أن يحيي الموتى ، ولا أن يبعثهم في الحياة ، لكان ذلك من العجز والضعف والذل .

وهكذا أيضاً كان هذا الدليل أقوى الأدلة على البعث ، كما قال تعالى : { أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَزْوَاجًا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعُظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } إلى آخر السورة . .

وكذلك في قوله تعالى صريحاً في ذلك ونصاً عليه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْعَاتِ فَإِذَا زَلَّ خِلَاقُنَا كُفُّوا مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ رُّطُفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَاقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مَّضْغَةٍ ثُمَّ مِّنْ مَّخَلَقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلَقَةٍ لِّئَلَّيْكُمْ لَكُفُّمٌ وَتَقَرَّرُ فِي الْأَرْضِ حَامٍ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمُمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } ثم قال تعالى : { ذَالِكِ بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنزَلْنَاهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنزَلْنَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّا السَّاعِيَّةُ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّا اللَّهُ لَا يُدْعَى بِدَعْوَتِهِ } . . .

ثم بين تعالى أن جاحد هذا الدليل إنما هو مكابر جاهل ، ضال مضل ، وذلك في قوله بعده مباشرة : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي آلِهَةٍ بِهِ يُدْعَرُ عِلْمٌ وَلَا هُدًى وَلَا

كِتَابٍ مِّنْ ذِيكَ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وَنُذْرٌ يُقْهَى يَوْمَ الْفُتُورِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
يَدَاكُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ . .

ومن هنا كان أول نداء في المصحف يوجه إلى الناس جميعاً بعبادة الله كان لاستحقاقه
عبادته وحده ، لأنه متصف بصفة الخلق كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا
رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَسْرَ رُضًا فَرَّاشًا